العرب
الخميس 2021/04/01
السنة 43 العدد 12017

تخمة درامية تنتظر الجمهور الجزائري في الموسم الرمضاني

نوعية الأعمال المتنافسة على استقطاب المشاهدين ومحتواها تثير التساؤلات

تنتظر الجمهور الجزائري خلال الموسم الرمضاني القادم تخمة درامية، والمرشح أن يمتد عرض بعض الأعمال الدرامية إلى أسابيع أخرى بعد انتهاء شهر الصيام، في ظل الوفرة غير المسبوقة للعروض على مختلف القنوات التلفزيونية الحكومية والخاصة. لكنّ الأنظار تتوجه إلى طبيعة المحتوى والنوعية باعتبار أنّ الكَم صنعه تراكم الأعمال التي تأجّلت الموسم السابق بسبب تداعيات جائحة كورونا.

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر – دخلت شركات الإنتاج الفني والدرامي بالجزائر، في سباق مع الزمن من أجل الوفاء بتسليم أعمالها في الموعد المحدد، والالتزام بالعقود المبرمة مع مختلف القنوات الحكومية والخاصة، حيث دخلت العديد من المسلسلات مرحلة التركيب أو تصوير المشاهد الأخيرة، أياما قليلة قبل حلول الموسم الدرامي الرمضاني.

ومع ذلك لا زالت إدارات تلك القنوات تتحفظ عن الكشف على شبكاتها البرامجية لشهر رمضان، وعلى رأسها الأعمال الدرامية، وهو ما يجسّد حالة الترقب وإخفاء الأوراق إلى غاية اللحظات الأخيرة، في ظل المنافسة الشديدة بينها على استقطاب الجمهور والمعلنين، فالموسم فرصة للاستهلاك المتنوّع بما فيها الصورة البصرية.

تراكم كمي

يحضر في أجندة البرمجة الجزائرية لرمضان هذا العام كم غير مسبوق من الأعمال الدرامية التي تراكمت طيلة السنوات الثلاث الأخيرة، فقد أخلط الحراك الشعبي خلال العام 2019، أوراق الناشطين في المجال الدرامي، سواء من ناحية الرؤية السياسية ومخارج الأحداث، أو ارتفاع سقف الحرية آنذاك في البلاد الذي بدّد رسائل الأعمال الدرامية، حيث قال نقاد حينها بأن "الحراك قال كل شيء، فلماذا ننتظر عملا دراميا لتلقي رسالة سياسية محتشمة".

محمد عبيدو
الشراكة الجزائرية – التونسية في المجال الدرامي سلاح ذو حدين

غير أن غموض الرؤية ومخارج الحراك الشعبي إلى حد الآن، أبقى الظلال مخيمة على بعض الأفكار التي حاولت مواكبة التطوّرات السياسية وتقديم خدمة مهادنة للسلطة عبر بعض الأعمال الدرامية، على غرار مسلسل "المنجل" الذي عالج ظاهرة الحرب على الفساد برؤية درامية، تماشيا مع توجهات واحد من أجنحة السلطة، التي روّجت في وقت سابق لمصطلح "المنجل"، وهو آلة تقليدية حادة يستعملها الفلاحون والقرويون في قص الكلأ، كناية عن قص رؤوس الفساد.

لكن، وفي المقابل يتطلع الجمهور إلى محتوى بعض الأعمال التي حملت رسائل مناوئة للسلطة، في ظل الضغط والتوجيه للرأي العام بمختلف الوسائل الإعلامية وحتى الدرامية منها، لاسيما وأن هناك أطرافا تتحدّث عن تدخل يد السلطة في صياغة سيناريو "عاشور العاشر" في جزئه الثالث، وكذلك "بابور اللوح" الذي يعالج ظاهرة الهجرة السرية "الحرقة".

وأمام الكم غير المعهود من الأعمال المهيأة للعرض خلال الموسم الرمضاني القادم، فإن أنظار الجمهور والنقاد تتطلّع إلى محتوى تلك الأعمال في الشكل والمضمون، خاصة الأعمال التي أثارت الكثير من الجدل، كمسلسل "تلك الأيام" الذي أنتجته قناة "الشروق" الخاصة، لعرضه في موسم 2018، إلاّ أن مؤامرة بإدارة من نظام بوتفليقة حالت دون عرض المسلسل، الذي راهنت عليه حينها إدارة القناة إلى جانب مسلسل "الرايس قورصو"، لإحداث طفرة نوعية، لكن تعطيل الأول، والتلاعب بالثاني، أجّل رؤية الدراما الجزائرية بشكل جديد، خاصة بعد دخول كل من الأتراك والتونسيين على خط الشراكة والتعاون.

وهناك العديد من الأجزاء أو الأعمال الجديدة تتهيّأ للعرض أمام الجمهور الجزائري، الذي يتوق لمتابعة أعمال تعيد التوازن ولو نسبيا مع الدراما العربية والتركية التي استقطبت قطاعا عريضا من الجزائريين على مر المواسم الدرامية الماضية، على غرار الجزء الثاني من مسلسل "مشاعر"، الذي يؤدّي فيه دور البطولة الفنان حسان كشاش، وأيضا الجزء الثاني أيضا لمسلسل "يمّا" (أمي)، فضلا عن "النفق" و"فاقد الشيء"، و"بنت البلاد" الذي يعالج حياة الفنانة فضيلة الدزيرية (الجزائرية). واللافت أن تعاونا فنيا ودراميا قطع أشواطا كبيرة بين الجزائر وتونس، وبدرجة أقل مع السوريين والأتراك، وتتحدّث بعض الإحصائيات عن تواجد تونسي في السوق الفنية الجزائرية يقدّر بنحو 250 فنيا وتقنيا في مختلف التخصّصات الفنية، إلى جانب احتضانها لعدة أعمال أنجزت في أستوديوهاتها كـ"مشاعر" و"عاشور العاشر".

وإذ كانت الأزمة الاقتصادية والأوضاع السياسية غير المستقرة في البلاد، قد أضرت بوتيرة الإنتاج خلال السنوات الأخيرة، إلاّ أن دخول القنوات الخاصة على خط المنافسة منذ العام 2011، فرض عليها الاجتهاد في كسب ودّ الجمهور بأعمال ووجوه ونجوم بارزة محليا وإقليميا خاصة التونسيين، الأمر الذي خلق حالة من التخمة في انتظار النوعية والمحتوى.

جوع فني

وصف الإعلامي والناقد محمد عبيدو، في اتصال لـ"العرب" ظاهرة تراكم الأعمال الدرامية، بأنها ناجمة عن حالة "الجوع الفني"، وبرّر ذلك بالقول بأنه "بعد توقف طويل بسبب جائحة كورونا التي نسفت مسار عدد من الإنتاجات الرمضانية في التلفزيونات الجزائرية، نشهد تراكم إنتاجات موسمين دراميين بعام واحد، وثمانية مسلسلات وهو رقم متواضع مقارنة بعدد القنوات التلفزيونية الجزائرية، وبعدد الإنتاجات في دول عربية أخرى، خاصة وأن شهر رمضان تحوّل إلى موسم درامي بامتياز يشجّع على الاستهلاك الفني، كما يتم استهلاك الحلويات التقليدية".

وأضاف بأن "القنوات التلفزيونية الجزائرية التي انسحب المشاهد الجزائري من متابعتها نتيجة خواء وبؤس معظم برامجها التي تعتمد على الإثارة المجانية أو الخطابات والحوارات السياسية، يبدو أنها شعرت بهذه الهوة التي تفصلها عن المشاهد، وتحاول أن تعوّض بإعلانها عن مسلسلات درامية في شكل جذاب ودعائي".

وتابع المتحدث "بعد تجربة فاشلة لتصوير مسلسل 'الرايس قورصو' في تركيا قبل سنوات، توجه عدد من القنوات التلفزيونية إلى التصوير والقيام بالعمليات الفنية بتونس لعدد من الأعمال الدرامية، والاستعانة بمخرجين وتقنيين من خارج البلاد، كما هو الأمر في مسلسل 'مشاعر 2' الذي انتهى تصوير جزئه الثاني قبل أيام، وهي حلول وإن كانت تُساعد العمل في جوانب معينة، فإني أراها غير صحية من ناحية انعكاس منفعتها على العاملين بقطاعات الدراما الجزائرية، الذين سيفتقرون إلى غنى التجارب وتنوّعها وسيعيش بعضهم البطالة".

وفي تلميح إلى نوعية ومحتوى الأعمال المنتظرة، تساءل عبيدو "عن قدرة تلك الأعمال على منافسة الدراما المصرية والسورية لجذب المشاهد الجزائري لشاشاتها؟ وهل يمكن أن نشهد عملا إبداعيا بجماليات عالية مثل مسلسل 'الحريق' الذي مضى على عرضه نصف قرن، ولكن لم تؤسّس تجربته المهمة لتراكم في المشهد الدرامي المحلي؟".

مسلسل «يمّا».. طرح درامي لأزمات المجتمع الجزائري

بعد نجاح «لوبين».. نتفليكس تعزز ترسانتها من المسلسلات الفرنسية

يبدو أن النجاح الجماهيري غير المسبوق لمسلسل "لوبين" الذي عرضته نتفليكس مع بداية العام الجاري حفّز القائمين على المنصة الأميركية العملاقة للاستثمار أكثر في إنتاج وعرض مسلسلات وأفلام تستند حكاياتها على الثقافة الفرنسية المغرية للجماهير العالمية.

باريس – قرّرت مجموعة نتفليكس الأميركية العملاقة في مجال الفيديو بالبث التدفقي تعزيز إنتاجاتها الفرنسية مع إطلاق حوالي ثلاثين مشروعا أصليا فرنسيا في 2021، بينها مسلسل وثائقي عن جوني هاليداي وآخر روائي عن حريق كاتدرائية نوتردام.

وعقب افتتاح مكاتبها في باريس العام الماضي بعد ست سنوات على إطلاقها في فرنسا، أكّدت نتفليكس تسريع وتيرة إنتاجها للأعمال الفرنسية من خلال ترسيخ تجذّرها الإبداعي والثقافي في فرنسا. وخلال العام الجاري تعتزم المنصة إنتاج أو عرض 27 فيلما وعملا وثائقيا.

وقالت المديرة الإعلامية للشبكة في فرنسا آن غابرييل دوبا بانتانس "مشتركونا يريدون قبل أي شيء قصصا يجدون أنفسهم فيها".

وهذا التوجّه نحو تجذير الثقافة الفرنسية في المُشاهد حقّقه في وقت سابق المسلسل الأميركي "إميلي في باريس"، وهو من الأعمال الأصلية لشبكة نتفليكس، الذي صدر موسمه الأول المكوّن من عشر حلقات في أكتوبر 2020، وأخرجه أندرو فليمينغ، وأسندت بطولته إلى كل من ليلي كولينز وكات والش ولوكاس برافو وآشلي بارك وفيليبين لوروا بوليو.

وتتمحور قصة العمل الذي يجمع بين الكوميديا والرومانسية حول شابة عشرينية أميركية يتم اختيارها في آخر لحظة للانتقال إلى باريس، بدلا من رئيستها التي اكتشفت حملها لتوها، وذلك من أجل العمل في فرع جديد اشترته شركة الإعلان التي تعمل لديها. على أن تكون مهمتها تعريف العاملين بالمقر الفرنسي على المنظور الأميركي اللازم للتسويق، والذي سيضمن لهم الوصول لقطاع أكبر من الجمهور وبالتالي الزبائن.

وقد حظي المسلسل بمتابعة عالية في الدول العربية والغربية، وذلك كون قصته تدور في العاصمة الفرنسية، مع خلفية من المناظر الطبيعية الخلابة والكثير من الأزياء الجميلة والمميزة وصور جميلة وجذابة لأشهر معالم باريس الثقافية والحضارية.

ويضمّ برنامج أعمال نتفليكس الفرنسية في 2021 مسلسلا يحمل عنوان "لا بار أو فو" يُعيد تصوير ليلة الحريق في كاتدرائية نوتردام في باريس.

والعمل يستعرض قصة اندلاع الحريق في الكاتدرائية القوطية التي شيّدت بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر مع حبكات درامية ثانوية فيها الحب والهلع والصدمة من آثار الحريق الذي أدّى إلى انهيار برج الكاتدرائية الأوسط الذي يبلغ ارتفاعه 93 مترا، خاصة وأن الكاتدرائية تضم مجموعة نادرة من الأعمال الفنية والتحف الدينية، وهي مُدرجة منذ العام 1991 كجزء من موقع "التراث العالمي لليونسكو في باريس".

كما تضم الأعمال الأصلية للمنصة عملا وثائقيا يتناول قصة مغني الروك الراحل جوني هاليداي (1943 – 2017). وهو عمل سيتناول سيرة ومسيرة أشهر مغني روك فرنسي في القرن الماضي والأكثر إنتاجا، حيث سجّلت مبيعات ألبوماته أكثر من مئة مليون أسطوانة، وسجّل أكثر من ألف أغنية منها أكثر من مئة قام بتلحينها بنفسه، وحصل أربعون مرة على "القرص الذهبي"، واثنا وعشرون مرة على "قرص البلاتين"، وتابع حفلاته أكثر من ثمانية وعشرين مليون شخص في 180 جولة غنائية.

وتوفي هوليداي من سرطان الرئة في 6 ديسمبر 2017 في سن الـ74، وهو الذي أشاد به الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، في جنازة وطنية، قائلا "تجاوز الأجيال، ومحفورا في ذكرى كل فرنسي"، فيما قال رئيس الوزراء البلجيكي تشارلز ميشيل "لدينا جميعا واحدة على الأقل من أغانيه التي جاءت إلى ذهننا هذا الصباح، وقد ترك لنا أغاني ستعيش على مدى أجيال قادمة، وسوف تكون موسيقاه وشخصيته إلى الأبد في ذكرياتنا".

أما على صعيد السينما، فتعوّل نتفليكس على أفلام الحركة والكوميديا الجماهيرية، مع ثلاثة أعمال جديدة مقرّر عرضها في 2022.

وتضم مشاريع نتفليكس السينمائية الفرنسية عملا كوميديا لآني بون عن الحجر المنزلي، وفيلم حركة مع جان كلود فان دام.

وما من شك أن هذا الاستثمار المتزايد للمنصة العالمية في الإنتاج الفرنسي أتى نتيجة لنجاح مسلسل "لوبين" عند عرضه في يناير الماضي، والذي حقّق نسب مشاهدة غير مسبوقة عبر نتفليكس، إذ تابعه حوالي سبعين مليون أسرة في العالم، في مستوى قياسي للمسلسلات الفرنسية.

وتخطّى "لوبين" بذلك "مناورة الملكة"، أحد أنجح المسلسلات في تاريخ المنصة والذي وصل عدد مشاهديه إلى 62 مليون شخص عبر نتفليكس.

وقد احتل المسلسل المؤلف من عشر حلقات من إنتاج شركة "غومون" المركز الأول على نتفليكس في حوالي عشرة بلدان، بينها: البرازيل وفيتنام والأرجنتين وإسبانيا.

وفي مؤشر إلى حجم الظاهرة، تصدّر كتاب المؤلف الفرنسي موريس لوبلان عن مغامرات "اللص الظريف" أرسين لوبين الذي اقتُبس منه المسلسل قائمة الإصدارات الأكثر مبيعا عبر شبكة "أمازون" بفرعها الفرنسي.

وأرسينيو لوبين (أرسين لوبين) هو لص نبيل، ظهرت شخصيته لأول مرة عام 1905 في روايات بوليسية للكاتب الفرنسي موريس لوبلان.

ونجحت الشخصية في الوصول إلى الأفلام والتلفزيون والمسرح، وحافظت على نجاحها عبر الزمن، إلى أن أصبح لوبين من كلاسيكيات الأدب البوليسي.

> المنصة العالمية تعزز إنتاجاتها الفرنسية بحوالي ثلاثين مشروعا أصليا، بينها مسلسل وثائقي عن فنان الروك جوني هاليداي

واستوحت نتفليكس قصة المسلسل من هذه الشخصية، ومنحت لوبين مظهرا معاصرا وممتعا، وأدخلت بعض التعديلات في تفاصيل الشخصية، منها لعب الممثل الرئيسي عمر سي شخصية باريسي أنيق يدعى أساني ديوب، ابن مهاجر سنغالي، ويعشق شخصية اللص أرسين لوبين.

والمعروف أن لوبين يستهدف الأغنياء ممّن جنوا ثرواتهم بطرق غير مشروعة سواء قانونيا أو أخلاقيا، وبفضل هذا المبدأ لاقت شخصيته إعجاب الفقراء.

ورغم تركيز المسلسل على جرعة الأكشن الترفيهية، إلاّ أنه يحمل رسالة سياسية واضحة، نابعة من شخصية لوبين ذاته، الذي يمنح الضعفاء والمهمشين صوتا للتعبير عن أنفسهم بعد أن تجاهلهم المجتمع والسلطة.

مسلسل «لوبين» دعّم توجهات المنصة العالمية نحو الثقافة الفرنسية